الفصل الثامن عشر

مسلسل طويل

الثالث من تشرين الأول عام 2005م

تبدأ الليغا (اسم الدوري الإسباني) مشوارها لموسم 2005م – 2006م في السادس والعشرين من شهر آب. تضم الليغا الخامسة والسبعون بطلًا جديدًا، هو روبينيو الذي يمثِّل جوهرةً في تاج ريال مدريد، ولاعبًا ينتظَر منه الكثير إلى جانب اللاعبينَ البرازيليينَ الآخرينَ الموجودينَ، أمثال رونالدينو، ورونالدو.

إنّ مـا يميِّز الدوري الإسباني حقًّا، هو الصراع الأزلي بين ناديي برشلونة وريـال مدريد. يلعب حامل اللقب مباراته الأولى خـارج الديار أمام فريق نادي آلافيز على أرض ملعب ميندیسوروسا. غاب ميسي عن هذه المباراة، وذلك أمر مستغرب، خاصة إذا عرفنا أنّ الشاب الأرجنتيني كان -بلا منازع- نجم مباراة كأس خوان غامبر التي أُقيمت قبلها بيومين.

يصدر النادي بيانًا رسميًّا يوضِّح ملابسات هذا الأمر:

«قـرَّر نادي برشلونة عدم إشراك ليو ميسي فـي المباراة التي سيخوضها الفريق أمام فريق نادي آلافيز احترازًا؛ من جرّاء مشكلة قانونية عالقة سيُعمَل علـى حلّها قريبًا بما يوافِق القوانين الاتحاديـة المتعلّقة باللاعبينَ المنحدرينَ من دولٍ خارج الاتحاد الأوروبي».

obeikandi.com

مـا الذي حدث؟ في الثامن من تموز، عدَّل الاتحـاد الإسباني لكرة القدم قوانينـه العامة المتعلقـة باللاعبينَ المجنَّسيـن؛ أي اللاعبينَ الذين ينحدرون من دولٍ خارج الاتحـاد الأوروبي، وتتراوح أعمارهم من (19–17) عامًا، الذين تمـت ترقيتهم مـن فرق الشباب في النوادي الإسبانيـة. يسمح التعديل الجديد للاعبيـنَ الشبّان المعنييـن بمشاركة أنديتهم في الـدوري؛ حتى لو تجاوز عدد اللاعبيـنَ الأجانب المسموح بمشاركتهـم في التشكيلة الحدَّ المقرَّر، وهو ثلاثة لاعبينَ. يلبّـي ميسي جميع المعايير المنصوص عليهـا في القانون الجديد، ما يعنـي أنّ بإمكانه اللعب مـع أنّ التشكيلة تضم ثلاثة لاعبيـنَ من خارج الاتحاد الأوروبـي، هـم: رونالدينـو، وإيتو، وماركيز. ولكـن، يتعيّـن أولًا عرض القانون الجديـد – الـذي انتقدته أندية معيّنة لمحاباته برشلونة وميسي– على كلّ من: رابطـة المحترفينَ لكرة القدم، والمجلس الأعلـى للرياضة للتصديق عليه، ما يعنـي أنّه «بالنظر إلى الظرف المؤقت، فقـد أوصت الدائرة القانونية في نادي برشلونة بعدم السماح له باللعب».

إنّـه سيناريـو معقّـد بعض الشـيء، ولا سيّمـا أنّ ميسي لعب مبـاراة مع الفريـق الأول في دوري أبطال أوروبا لموسم 2004م–2005م أمام فريق شاختار دونيتسـك، وشـارك في سبع مباريات فـي الدوري، مـن دون أن يمتلك رخصة احترافيـة، أو وثائق خاصـة بالاتحاد الأوروبي، فكلّ مـا كان يمتلكه هو عقد مع فريـق الشبـاب والفريق الثاني بالنادي. كان أول ظهور لـه في ديربي كاتالونيا، حيث خاض مـع الفريق مباراة جمعته بفريق نادي إسبانيول، وذلك يوم السبت الموافـق للسادس عشر من شهر تشرين الأول عام 2004م، في الملعب الأولمبي بمونتخويك؛ إذ دخل بديلًا لديكو، ولمس الكرة بعدها – أول مرّة– بعشر دقائق مـن تمريرة لبيليتي. لقد كان يقوم بعمل جيد، ولكـن لا شيء استثنائي يستحق الذكـر. ومـع ذلك، فقد كانت ليلـة مميّزة بالنسبة إليه مـن دون شكّ؛ إذ أخبر

صحيفــة لا كابيتال ذات مرّة أنّ هدفه «الوصــول إلى الفريق الأول»، مع أنّه كان يقصد حينئذٍ بالفريق الأول فريقه المفضل؛ نيولز.

لعــب ليو مباراته الأولى، وتمكّن أيضًا من تسجيل هدفه الأول في الدوري. كان ذلك في الأول من شهر أيار عام 2005م، فقد أشارت اللوحة الإلكترونية في ملعب كامب نو إلى تقدّم البارسا على الباسيتي بهدف يتيم. يقرّر فرانك ريكارد سحــب صامويــل إيتو من الملعب، ويدخــل مكانه ميسي في مــكان لم يعتد هذا الأخيــر على اللعب فيه؛ هو مركز الوسط المتقــدّم. يستغل اللاعب الصغير – كان يبلــغ حينها (17) عامًا، و(10) أشهر– تمريرة من رونالدينو، ويتغلّب على حارس المرمى فالبوينا بتسديدة مركزة. إنّها لحظة نشوة خالصة، وليو لا يعرف ماذا يفعل، وينتهي به المطاف مرفوعًا على كتفي زميله روني (رونالدينو)، وهو يصــرخ فرحًا. إنّه أصغر لاعب فــي تاريخ النادي يسجّل هدفًا في الدوري (رقم قياســي سيُحطَّم في العشرين من شهر تشرين الأول عام 2007م بتسجيل بويان كركيتش هدفًا في مرمى فياريال).

لقــد ســارت أموره مــع الفريق الأول على نحــوٍ جيد حتــى الآن، ولكن تلك المبــاراة التــي جرت فــي الأول مــن أيار ستكــون المبــاراة الرسميــة الأخيرة للأرجنتينــي في ذلــك الموسم. علمًا بــأنّ الفريق ضَمِنَ لقبــه السابع عشر في المسابقة قبل نهاية الدوري.

يبــدأ موســم 2005م–2006م، وميسي لا يلعب، ولا حتى فــي مباراة بطولة كأســ الملك أمام ريال بيتيس؛ فنجده علــى مقاعد البدلاء في مباراة الذهاب، وغائــب عــن التشكيلة في مباراة العودة. كان هنــاك خطب ما، حتى قبل صدور الإعــلان الرسمي عن النادي، ومجلس الإدارة على دراية بالأمر؛ فميسي مسألة معلَّقــة. تبدأ الشكاوى تنهال على النادي. لماذا لــم تُحَلّ هذه المشكلة مسبقًا؟

لمـاذا تقاعـس النادي عن مسألـة تجنيسه على الرغم من وجـود قانون يسمح للأرجنتينييـن بالجمع بين الجنسيتين الأرجنتينيـة والإسبانية بعد سنتين من العيش في إسبانيا؟

مـع توالي الأخبار التي تشير إلى احتمال عـدم تمكُّن ميسي من اللعب في الـدوري، بدأت تظهر اقتراحات وحلول بديلة، مثل التنازل عنه لفريق آخر لديه مكان للاعب من خارج الاتحاد الأوروبي. إلّا أنّ هذا الاقتراح رُفِض فوره.

بعـد ذلك، سَرَتْ إشاعـات بأنّ أندية أوروبية ترغب فـي استثمار طاقاته، والإفـادة مـن خبراته، ومنهـا نادي الإنتـر. لم يُخْـفِ رئيس النـادي الإيطالي ماسيمو موراتـي يومًا إعجابه بهذا اللاعب، باستثنـاء العرض المادي المغري الـذي قدَّمه لخورخي ميسي؛ وهو أمر استخدمه هذا الأخير للضغط على إدارة برشلونة لحلّ المشكلة.

في تلك الأثناء، وفي الحادي والثلاثين من شهر آب (آخر يوم لقيد اللاعبينَ الجُدد)، يُجدِّد برشلونة رخصة ميسي بوصفه لاعبًا شابًّا مجنَّسًا من لاعبي فريق النـادي المصنَّف ضمن فـرق دوري الدرجة الثانية. وفي السادس عشر من شهر أيلول، انتشر خبرٌ مفاده أنّ هذا اللاعب قد وقَّع عقدًا احترافيًّا مع النادي.

تبلـغ مدّة هذا العقد تسـع سنوات؛ أي إنّه ينتهي عام 2014م. وقد صرَّحت مصـادر مختلفـة بأنّ أجره سيرتفـع ليصبح ثلاثة ملايين يورو فـي العام، وأنّ قيمة فسخ العقد تبلغ (150) مليون يورو.

كانـت أخبـار الاتفاق قـد تسرَّبت فعليًّا فـي شهر حزيـران؛ إذ ذكر الموقع الإلكتروني الرسمي للنادي ما يلي، في الثلاثين من هذا الشهر، وفي أثناء مشاركة ليـو المنتخبَ الأرجنتيني في بطولة كأس العالَم للشباب دون سنّ العشرين: «بعد أسبـوع من عيد ميـلاده الثامن عشر، يتلقى ليو ميسي أفضـل هداياه؛ فقد توجّه

سكرتير النادي تيكستي بيغريستين برفقة والد ميسي إلى مدينة أوتريخت بهولندا للاتفاق على عقد جديد، يضمن بقاءه في النادي حتى عام 2010م».

هناك تأويلات عدّة للتضارب الحاصل على مستوى التواريخ؛ إذ يقول بعضهم: إنّ ميسي ببساطة قبل العرض، ولا سيّما أنّ القانون يَعُدُّه بالغًا الآن، في حين ادّعى آخرون أنّ بنود العقد تعرّضت للتعديل في شهر أيلول؛ لأنّ والد ميسي لم يكن راضيًا عن بعض الفقرات المتعلّقة بالحوافز، وزعموا أنّ مدّة العقد أصبحت تسع سنوات بدلًا من السنوات الخمس المعتادة. ويرى بعضٌ آخر أنّ الاتفاق الذي وُقِّع في شهر أيلول كان مبدئيًّا فقط، وأنّه سيوقَّع عقد احتراف في الموسم المقبل يتناغم مع القوانين الجديدة التي سيعمَل بها لاحقًا.

يؤكِّد واقع الأمر أنّ الأخبار المتعلّقة بتجديد العقد لا تُجدي نفعًا، وإنّما تضيف حلقة جديدة إلى المسلسل الطويل الذي سيأخذ منحى جديدًا في العشرين من شهر أيلول. فقد صوَّتت أغلبية ساحقة من أعضاء لجنة المحترفينَ لكرة القدم ضد القانون الجديد؛ أي إنّ اقتراحات الاتحاد الإسباني لكرة القدم، وجمعية اللاعبينَ الإسبانية، المتعلّقة باللاعبينَ المجنَّسين لن ترى النور. وفي هذه الأثناء، تحدث الأشخاص الذين يشاطرون رئيس نادي برشلونة الرأي عن مؤامرة على النادي حاكتها بعض قوى كرة القدم الإسبانية. وما هو مؤكَّد حتى الآن أنّ ميسي لا يستطيع اللعب في الدوري. ولكن، بإمكانه اللعب في دوري أبطال أوروبا من دون أيّ مشكلة.

وافق الاتحاد الأوروبي لكرة القدم على مشاركة ميسي في مسابقاته وبطولاته بعد فحص الأوراق التي أرسلها النادي، وها هو ذا يعترف بالتجنيس الممنوح له. لا شيء غير عادي في الأمر؛ فميسي كان قد لعب كثيرًا من المباريات في المنافسات الأوروبية في الموسم المنصرم. حتى إنّ نجمه سطع في أول ظهور أوروبي رسمي له في المباراة التي جمعت البارسا بأقوى منافسيه

عـن المجموعة (ج)؛ نادي فيردر بريمن الألماني؛ إذ شارك في الشوط الثاني، وحصـل علـى ركلة جـزاء نفَّذهـا رونالدينو بنجـاح، ليقضي بذلك علـى آمال الألمـان بالعودة إلى المبـاراة. كانت تلك لحظة مهمة، تدل علـى أنّه سيشارك لاعبـي الفريـق الأصلاء مباراتهم المقبلـة أمام فريق أودينيـزي في كامب نو. ولكن، في اليوم المقبل، السادس والعشرين من شهر أيلول، تصل أخبار جديدة تضع حدًّا للمشكلات السابقة جميعها؛ فعند الساعة الواحدة ظهرًا، يقف ليونيل أندرياس ميسي كوشيتيني أمـام رئيس محكمة الأحـوال الشخصية، القاضي فيرنانـدو البيرتي فيسينو، ويقسِـم إنه «لا يتخلى عن جنسيته الأرجنتينية، وإنّه يقسم بالولاء للملك، وبالطاعة للدستور والقوانين الإسبانية، وإنّه يختار الإقامة المدنية الكاتالونية، وإنّه يلتمس إدراجه في السجلّ المدني الإسباني».

خلاصـة القول هـي إنّ ليو حصل على الجنسيـة الإسبانية، فأصبح بذلك مواطنًـا في الاتحاد الأوروبي. بعد ذلك، قـدَّم البارسا الوثائق اللازمة للاتحاد الإسبانـي، وجاء الـردّ سريعًا بالموافقـة: «بموجب صلاحيـات الجهة المخوّلة (الاتحاد)، يحقّ للاعب المذكور أعلاه اللعب لناديه، آخذين جنسيته الإسبانية النافذة في الحسبان فيما يخصّ أيّ مصلحة».

فـي الأول من شهر تشرين الأول؛ أي بعد خمسة أيام من انطلاق الدوري، تمكَّـن ليـو من مشاركة فريقـه اللعب في مباراتـه أمام ريـال سرقسطة. وهذه المـرّة، وبعـد أن زال حمل ثقيل عن كاهله، عاملته جماهيـر كامب نو العريضة - ذلـك السبت- كما لو كان بطلًا قوميًّا. لايزال البارسا متأخرًا بهدفين. وعلى الرغـم من نزول ليو في الشوط الثاني، لكن لـم يحقِّق أيّ معجزات، خلافًا لما اعتـاده فريق المـدرِّب ريكارد، سوى تعديـل لكفة النتيجة قبـل نهاية المباراة. فالأمور بخواتيمها، ولكن ليس هذه المرّة.

بعـد يومين؛ أي يـوم الإثنين الموافِق الثالث من شهـر تشرين الأول، يرسِل خصـم البارسا؛ المقبل نادي ديبورتيفو لا كورونيا، رسالة إلى رابطة المحترفين لكرة القدم، ونسخة منها إلى لجنة المسابقات في الاتحاد الإسباني لكرة القدم، يلتمس فيها حكمًا بإصدار طلب للتحقيق في عملية التجنيس التي خضع لها لاعب البارسا. وفيما يأتي نصّ الرسالة: «لقد تمكَّن اللاعب المذكور من الحصول على الرخصة الوطنية (أي إنّها أُعطيت) بعد انقضاء الوقت المخصّص لذلك، الذي ينتهي في الحادي والثلاثين من شهر آب، ويستمرّ حتى شهر كانون الأول».

يكمـن جوهر الطلـب في «إعـادة ترسيخ مبـادئ المساواة فـي المنافسة، التـي يعتقَـد أنّها قد تعرَّضـت للانتهاك، على الرغـم من أنّ هـذه المسألة التي تنضـوي على مخالفة صارخـة ستنتهي حال إتمام التحقيـق». يذهب المسؤولون فـي نـادي آلافيز، الذين كانوا قد هـدّدوا مسبقًا بالتصعيد، إلـى ما هو أبعد من ذلـك؛ فيقدِّمون التماسًا لرابطة المحترفينَ لكرة القـدم لمنع ميسي من اللعب. وجهـة نظرهـم تقـول: إنّ الرخصة التـي حصل عليهـا باطلة وملغـاة «في نظر القانـون». لمـاذا؟ لأنّ «برشلونة مـا كان بمقدوره أن ينجح فـي إصدار الرخصة قبل آخر موعد لاستصدار هذه الرخصة؛ أي في الحادي والثلاثين من شهر آب، لأن اللاعـب كان لايـزال حينها أجنبيًّـا»، ويخبرنا خافيير تيباس، الذي لا يعمل مستشـارًا قانونيًّا لنادي آلافيز فحسب، بل نائبًـا لرئيس رابطة المحترفينّ لكرة القـدم أيضًا. يضيف تيباس: «لقد مُنِحَ الآن الجنسية الإسبانية، وتمكّن ناديه من استصدار رخصة له بتاريخ سابق؛ هو الحادي والثلاثون من آب على أمل إشراكه في الفريق، على الرغم من انتهاء الوقت المحدَّد لانتقال اللاعبينَ الجُدد».

وبعبـارة أُخرى؛ فـإنّ ليو لا يستطيـع البقاء واللعب اعتمـادًا على تصريح الإقامـة – الممنوح له – في دول الاتحـاد الأوروبي حتى شهر كانون الثاني. عدا ذلك، يسأل تيباس: «بالعودة إلى العقد الموقَّع، كيف لميسي أن يلعب مع الفريق الأول برخصة لعب خاصة بفريق الشباب فقط؟».

ينفد صبر خوان لابورتا، فيعلِن الآتي: «لدينا أسباب قانونية كافية لإشراكه. لا أدري ماذا يريدون أكثر من ذلك، حاولنا القيام بكلّ شيء وَفقًا للقوانين. والآن، وبعد أن حصل اللاعب على الجنسية الإسبانية، ما زالوا يختلقون المشكلات. لا أدري لِمَ يصرون على محاولة تدمير المستقبل المهني لهذا اللاعب. إنّهم يختلقون المشكلات لمنع ميسي من اللعب للبارسا».

يقوم رئيس البلاوغرانا بهجوم معاكس، ضاربًا مثلًا من الماضي: «لا أريد أن أُفكِّر في مثل هذا اليوم، حيث يُنادى بالديمقراطية والحريات، الذي نضطر فيه إلى نبش الماضي، كما حصل في قضية دي ستيفانو».

لِنُنْعِش ذاكرتنا ببعض التفاصيل الصغيرة: وصل ألفريدو دي ستيفانو، الملقَّب بالسهم الأشقر، إلى إسبانيا قادمًا من الأرجنتين عام 1953م للعب في نادي برشلونة، ولكن تدخُّل أشخاص ذوي مناصب عليا حوَّل المسألة إلى شأن وطني، ما أدّى إلى إلغاء التوقيع على العقد؛ حتى إنّ مجلس المستشارينَ تدخَّل في الموضوع، وقرَّر أنّه بالنظر إلى أهمية هذا اللاعب، فلا يَحِقّ منحه إقامة كاتالونية حصرية، واقترح عوضًا عن ذلك رأيًا (عادلًا) مفاده أن يلعب دي ستيفانو للبارسا وريال مدريد بالتناوب (الموسم الأول مع البارسا، والثاني مع الريال، وهَلُمَّ جَرًّا). ولحسن طالع الريال، فقد رفض برشلونة ذلك الرأي.

لكنّ الماضي لا يعاود مطاردة البارسا هذه المرّة، ولا يتعدّى الأمر الذي يؤرِّق لابورتا مجرّد أشباح لن تعاود الظهور مجدَّدًا. ما هو أكيد أنّ قضية ميسي احتلّت العناوين الرئيسة لصفحات الجرائد الرياضية في مختلف أنحاء البلاد، وتسبَّبت في فضيحة بالأرجنتين.

صدر أول قرار عن لجنة المنافسات في الاتحاد الإسباني لكرة القدم في الثامن عشر من شهر تشرين الأول، وقد نصّ على أنّه «بالنظر إلى عملية

التجنيس التي قام بها اللاعب، يحقّ له مواصلة اللعب بوصفه إسبانيًّا». أثار القرار سخط ناديي ديبورتيفو وآلافيز، وتبع ذلك استئناف واعتراض على استئناف، وقرارات ومناقشات حادّة. ولكن، في غمرة ذلك كلّه، فقد واصل ليو اللعبَ. فباستثناء مباراة الفريق أمام ديبورتيفو- حين قرَّر ريكارد إراحته بعد عودته توًّا من مشاركة فريق منتخبه الوطني، وبعدما هدَّد ديبورتيفو بالاعتراض في حال مشاركته - فقد واصل صاحب القميص رقم (19) المشاركةَ في مباريات الدوري، وبذل أقصى جهده.

استمرّت القضية بين أخذ وردّ حتى العام المقبل، لكنّها لم تُلْقِ بظلالها على أرض الملعب. يسجّل البرغوث ظهوره الأول في ملعب سانتياغو بيرنابيو في التاسع عشر من شهر تشرين الثاني؛ إنّه الكلاسيكو الأول بالنسبة إليه. بعد ذلك بأقلّ من شهر؛ في الرابع عشر من شهر كانون الأول تحديدًا، تُوِّج ميسي في كامب نو بوصفه أفضل لاعب دون سنّ العشرين، ونال جائزة الفتى الذهبي التي تمنحها مجلة توتو سبورت الصادرة في تورينو لأفضل لاعب من هذه الفئة؛ إذ تفوَّق على منافسه واين روني، حيث حصل هذا الأخير على (127) نقطة، في حين حصل ليو على (225) نقطة، وذلك بفضل إنجازاته في كأس العالَم للشباب. كان ذلك اعترافًا جديدًا بقدراته؛ وهو اعتراف جاء في وقته، فبطولة كأس العالَم ستقام في ألمانيا بعد ستة أشهر، وإن تلك النجاحات حوَّلت البرغوث إلى شخص مرغوب فيه من الرعاة.

فمن ماكدونالدز إلى بيبسي، ومن شركة ريبسول الإسبانية للنفط والغاز إلى شركة لا سيرينيسيما لمنتجات الألبان، ومن شركة ليز للرقائق إلى أحذية ستوركمان، ومن غاربارينو للأجهزة الكهربائية إلى ماستر كارد؛ تهافت عشرات الرعاة للحصول على خدمات ميسي، الذي كان توًّا قد ظهر بصحبة مارادونا. يظهر الاثنان وهما يوقّعان على تلفاز معًا، مع عبارة: «انظر على ماذا يوقّعان، إنّهما الأفضل».

يلعـب ليو بكلّ شيء. «كرة قدم: 30 بيزو. كرة مضرب: 12 بيزو. كيلوجرام من البرتقال: 3 بيزو»، كان ذلك إعلان لبطاقة ماستر كارد، يظهر فيه اللاعب الشـاب، وهو يلهو بكـرة قدم وكرة مضرب وبرتقالة؛ ما يعنـي –بالنسبة إليه– «أنّ هناك أملاً بعد دييغو لا يقدَّر بثمن».

ثمّ نراه يلعب مع أطفال يخيِّم الحزن على ملامحهم في إعلان لعلكة بوبالو، ثمّ يرقص بالكرة على ألحان موسيقا التانغو في إعلان لبيبسي. كلّ ذلك لا يقارن بالحمـلات الأخيرة، مثل الإعلان الذي يظهر فيه على شكل المخلِّص الذي ينزل من السمـاء، للترويج لمنتوجات شركـة إيه ستايل الإيطاليـة للقبعات والملابس الرياضية، أو تلك الحملة التي يظهر فيها على شكل عجوز (جدة) تحبّ لعب كرة القدم في إعلان صوَّره نهاية عام 2007م لصالح شركة طيران إير يوروبا.

من غيـر المنطقي إضاعة الوقت بالوصـف؛ إذ يمكن دخول موقع يوتيوب بسهولـة لمشاهدة كيف استغل المعلنون صورة الساحـر ميسي ومهارته في بيع أيّ شيء، وكلّ شيء.

ومـع نهاية عام 2005م، وبداية عـام 2006م، أصبح من الواضح أنّ ميسي شخصـ مرغوب فيه فـي مختلف أرجاء العالَـم، وهو أمر أثبتتـه أيضًا الحرب التـي نشبت بين شركة نايكي (عملاق صناعة الملابس الرياضية في أمريكا)، والشركة الألمانية ذات الخطوط الثلاثة؛ أديداس.

obeikandi.com